

# أمثلة من الترجمة

**Lutz Seiler**  
***Kruso***  
***Roman***

Suhrkamp Verlag, Berlin 2014  
ISBN 978-3-518-42447-6

28-44 صفحات

لوتس زايلر  
كروزو

ترجمة د. هالة غنيم



## فندق المحطة

تسللت رائحة البحر الي انفه قبل أن ينزل من القطار. كان فندق المحطة الواقع على الجهة المقابلة للمحطة، بمثابة غواية كبيرة جميلة بشرفاته الخارجية المشيدة على شكل ابراج دائرية، وبأسهم المؤشرات المعدنية لاتجاه الريح التي تأكلت عليها تواريخ الاعوام، إنه غواية مألوفة لـ(أد) منذ الطفولة (ذكريات الرحلة الوحيدة له الى بحر الشرق) .

انتظر (أد) مرور بعض السيارات و تردد. إن ما يراوده لا يتسم بالحكمة، خاصة اذا اخذ الحالة المالية في الاعتبار. ومن الناحية الاخرى لم يكن هناك معنى لتأجيل الهبوط على الجزيرة الى فترة بعد الظهر، اذ لن يتيح ذلك متسعا من الوقت للعثور على مكان يأوى اليه - إن نجح اصلاً في ذلك . لم يحمل في حوزته سوى مائة و خمسين ماركاً، وهو مبلغاً يمكن ان يعبر به فترة ثلاثة او اربعة اسابيع إذا احسن التدبير. لقد ترك تسعين ماركاً في حسابه لغرض تحويل قيمة الايجار الشهرية حتى سبتمبر. اذا حالفه الحظ لن يتساءل احد او يتضرر من غيابه. من الوارد ان يكون قد اصابه مرض ما. ستبدأ اجازة الفصل الدراسي بعد ثلاثة اسابيع. وقد ارسل بالفعل بطاقة بريدية لوالديه اللذين يظنان الآن أنه في بولندا، في "كاتوفيتش"، للمشاركة في معسكر الطلاب الصيفي الدولي، مثل العام السابق.

وقع نضد الاستقبال على ارتفاع مبالغ فيه ، كما خلى من اي اوراق او مفايتح. وإن تساءل (أد) بينه وبين نفسه عن مدى خبرته هو بالذات بالفنادق. في آخر لحظة ظهرت رؤوس سيدات ثلاث و كأنها مكابس محرك رباعي الدفع اخفت شمعته الرابعة في الاشتعال. من المستحيل تحديد العمق الذي جاءت منه فجأة موظفات الاستقبال. ربما كان النضد المرتفع لموقع الاستقبال متصل بغرفة خلفية، او ربما اعتادت السيدات عبر السنين الاحتماء لاطول وقت ممكن في موقع خفي، في سكون، خلف الحاجز الخشبي الغامق.

"يومكم سعيد، انا... "

خرج صوته متعباً. مرة اخرى لم يتمكن من النوم وحده في عربة القطار. فقد قامت لجنة تفتيش عسكرية، ربما هي من ارهاصات حرس الحدود، بمصادرة بطاقة بحر الشرق التي كان يحملها بحوزته. طال وقوف القطار في "انكلام"، لا بد انهم صعدوا اثناء وقوفه هناك. شعر بالندم لان عقله لم يلهمه قول شيء افضل من إدعاء ان البطاقة ليست خاصة به. .. و أنه لذلك لا يعرف سبب الخطوط الموجودة اسفل بعض الاماكن او تلك التي خطت بقلم على مقاطع معينة من الشريط الساحلي المصور على البطاقة... للحظة خذله صوته الذي اخفق، و حل محله الطنين في رأسه، "بروكس"، "أيشندورف"، و مرة بعد الاخرى "تراكل"، الذي جاء صوت ابياته المشكلة من اوراق الشجر الجافة و اللون البني اكثر الاصوات الحاحا، و هو ما جعل (أد) يمسك برأسه. الحركة المفاجئة: رفع احد العساكر بندقيته في رد فعل تلقائي.

في النهاية شعر (أد) بالامتنان للحظ الذي حالفه، اذ تركه العسكر جالسا في مقعده. جاء صوت العسكري حامل الكلاشينكوف من الممر قائلاً: "انه شخص غريب الاطوار". كسي العرق جبين (أد) ومرت امامه الحقول والطفاء السوداء بمحازاة جسر السكة الحديد.

"هل لديك حجز مسبق؟"

لاول مرة في حياته شغل (أد) غرفة. كان الامر بمثابة معجزة. حصل أد على استمارة طويلة من الورق المقوى، و طلبت منه بطاقته الشخصية. بينما مد كوعه بصعوبة فوق النضد العالي وراح يدون بمعصم متيبس البيانات المطلوبة، اخذت موظفات الاستقبال واحدة بعد الاخرى تتصفح بطاقته الشخصية.

للحظة غير عقلانية تخوف أد ان يكون رحيله السري قد سجل نفسه تلقائياً في بطاقته اثناء الرحلة، في إحدى الصفحات الخالية في نهاية الدفتر، اسفل التأشيرات و السفريات. "غادر دون تصريح" – يعرف منذ فترة خدمته العسكرية في الجيش هذا الختم الصغير الذي كانت توابعه من العقوبات وخيمة.

"أسف. فهذه اول مرة اقوم فيها بذلك" هكذا تفوه أد.

سأله القائم على خدمة النزلاء "ماذا؟"

رفع أد رأسه و حاول ان يبتسم و لكنه لم ينجح في مد جسر اليه. حصل على مفتاح علق بنهاية رباط قصير تدلى منه مكعب خشبي مطلي. احكم قبضته حول المكعب وتعرف على رقم الغرفة. كان الرقم محفور بدقة. تراءى له في اللحظة أن القائم على الصيانة بالفندق في ورشته في قبو المبني، حيث جلس امام صف لا ينتهي من المكعبات التي تم ضبط حجمها وتهذيب احرفها بجهد كبير، و اخذ يضغط مكبس الحديد المتوهج لمكوى اللحم عليها واحدة تلو الاخرى، رقم تلو الآخر، غرفة تلو الاخرى. لقد كان (أد) في يوم من الايام عاملاً، وما زال جزء من ذاته يعيش في الورش، في مغارات الطبقة العاملة، في الغرف الجانبية من العالم حيث اتخذت الاشياء شكلها الواضح و الملموس.

"الطابق الثاني، السلم على اليمين!"

تلاأت أعلى باب ملابس بقطع النحاس عبارة "المقهى العربي". استدار اد عند اول مقطع من السلم، كانت رأسان من رؤوس سيدات الاستقبال الثلاث قد اختفت، بينما اخذت الثالثة تتحدث بالهاتف منتبحة اياه بنظرها. كانت الساعة قد تعدت الرابعة بعد الظهر حين استيقظ من النوم. حوت الغرفة خزانة غسيل استقرت عند نهاية السرير المزدوج و جهاز تلفزيون في الركن وضع على رف مطلي بالكروم. اما فوق المرحاض فعلق خزان حديدي طارد للمياه لابد انه يرجع الى زمن بعيد، كست سطحه قطرات الماء المتكاثف. صُمم مفتاح التشغيل على شكل درفيلين يقفز ان في الهواء ثم يعودان في تودة الى حيث كانوا بينما تتدفق المياه بقوة. استمتع اد بالصوت المنبعث و شعر بصدافة تربطه بالدرفيلين.

لايد ان تعد امكانية دخول فندق و طلب غرفة و الحصول عليها ضمن المعجزات القلائل التي لم تندثر بعد – "على الرغم من كل ذلك و كل ذلك" هكذا غرغر أد تحت المياه المنبعثة من سماعة الدش. مع الوقت ينسى المرأ ان مثل هذه الاشياء مازالت موجودة، بل انه يفقد بالأحرى الايمان بوجودها، بل و ينسى قيمة الحياة. هذا او هذا تقريبا ما دار بخلد أد. ود ان يستمنى، ولكن تركيزه لم يسعفه.

كانت على يمين الفندق بحيرة تتوسطها نافورة ترتفع منها المياه في إيقاع ثابت لتنتهال بعد ذلك منهارة وتختفي لثوان. طفى حبيبان على مركب بدال بطيء في اتجاه الالعاب المائية. فجأة غمر أد عند عبوره الشارع في اتجاه البحيرة شعور بالتفاؤل. هذا كله يمثل بداية شيء ما؛ تتجلى من خلاله قدرة شخص علمته

التجارب ... انتهت الجملة عند هذه النقطة. اتضح له ان رحيله جاء متأخرا بعض الشيء. شعر بالالام، كأنه بدأ يستيقظ من الخدر الذي كان واقعا تحت تأثيره، ميليمترا تلو الآخر.

إنعطف الى اليمين شارع مسفلت يحمل اسم "آن دن بلايشن". مر امام بعض الفيلات التي تدهور حالها، بما فيها من حدائق شتوية وأفنية وجراجات. وقف امام احد لوحات الاجراس ليلقي بنظرة على مسار رحلة المنزل حتى تلك اللحظة. سمح الضوء الضئيل الباسل بداخل لوحة الاجراس بقراءة بعض الاسماء التي تم تغطيتها منذ سنين. حاول (أد) ان يخطو على ايقاعها عند استمراره في السير: "شيله"، "دامه"، "جلامبك"، "كريبجر" ... وتحولت هممته الى رصيف يمتد فوق البحيرة وصدر عن خطواته فوق الخشب صوتا كالذي يصدر عن بندول الايقاع "اللدنين - ماتوا - بالفعل ... " هكذا همس أد وتحسس وجهه تلقائيا ... هل يرون الامور من منظور مختلف؟ ظهر سور المدينة القديمة، بوابة على شكل قوس، ومقهى يحمل اسم "دار البوابة".

عبر الجزء القديم من المدينة حتى وصل الى الميناء، حيث القى نظرة على مواعيد قيام العبارة. إقتنى من كشك "الاسطول الابيض" تذكرة لليوم التالي. اضى عليه منظر المراكب شعور بالحماسة. الدرج المؤدى الى الرصيف مصبوب من الخرسانة ذات اللون الرمادي الفاتح، ثم: البحر. عاد أد الى المحطة ليشبع جوعه بسعر قليل. شعر بالراحة واخذ يفكر فيما لديه من فرص سير الامور. الاختباء في البحر، البحر الخفي، "هيدن زي" ... يعرف تلك الحكايات. تحوم حول الجزيرة همهمة لا تنقطع. اخذ أد يمضغ في تفكر ويحتسى القهوة في رشقات منمنمة. لن يكون الصعود على احدى البواخر بالامر السهل. كما سيكون بعد ذلك العثور على مأوى شبه مستحيل، ولكنه لا يستطيع ان يجد هدفا بديلا، طالما ظل داخل نطاق الحدود. بالطبع سمع خبراء يدعون ان بحر "هيدن زي" يقع بالفعل خارج الحدود. .. أنه جزيرة المحظوظين، الحالمين، والمتأرجحين على حبال الاحلام، الفاشلين والمنبوذين. كما يطلق عليه آخرون "كابري الشمال" الذي هو كامل الاشغال ومحجوز لعقود عديدة.

كان أد قد تعرف في مدينة "هاللة" على باحث تاريخ يقوم اثناء الشتاء بالعمل كنادل في مطعم "قاعات أوفنباخ" المعروف بنبيذه، حيث جلس مرارا مع (ج) الى البار. كان الباحث يعود في بداية كل موسم ربيع الى الجزيرة. "اخيرا، اخيرا!" هكذا كان يهتف موجهها كلامه الى زوار المطعم، اللذين كانوا يومئذ برؤسهم في تفهم كلما شرع يلقي عليهم إحدى قصائد المديح. كان يخاطبهم قائلا "ايها الاعزاء، الجزيرة عليها كل ما احتاج اليه وطالما بحثت عنه. عند ظهورها في الافق من موقعي على العبارة بهيئتها الكنزة الرقيقة، بهيكلها الدقيق، بينما يقع خلفي آخر مرتفع لارض البر، "شتر الزوند" بأبراجها، كل الارض الخلفية بمخلفاتها الفكرة، انتم تعرفون يا اعزائي حتما ما اعنيه، في لحظة ظهور الجزيرة ينسى المرء كل ذلك، اذ ها هي امامه على مرمى البصر ومنذ تلك اللحظة على العبارة يبدأ عهد جديد!" هكذا كان يتغنى الرجل الشائب في منتصف الاربعينات من عمره الذي - هكذا يُقال - تقاعد بمحض ارادته من عمله بالجامعة ليغوص بعمق في عالم الاحلام؛ كان يتحلى مثل كثير من المفكرين في البلاد بذقن شبيهة بذقن ماركس.

"الحرية ايها الاعزاء تكمن في ان يضع المرء في اطار القوانين الوضعية قوانين خاصة به، في ان يكون موضوع القوانين و مسنها في آن واحد، إن ذلك من السمات الاساسية للحياة هناك في الشمال. هكذا لخص باحث التاريخ الامر في "قاعات أوفنباخ" ، بينما حمل امامه برميل دوار تكدست عليه اكواب كبيرة. وكانت المعلومة الالهة التي استرعت انتباهه أد هي امكانية خلو اماكن عمل فجأة خلال الموسم، فتصبح هناك

بذلك بين يوم وليلة حاجة الى نادلين وغاسلين ماعون والى مساعدين في المطابخ. اذ كان بعض العمال الموسمين يختفون اثناء الليل، لأسباب شتى. عادة ما كان الراوي يصمت عند هذه النقطة ليلقي بنظرة الى المستمع، ثم يستمر بعد ذلك في السرد في احدى الاتجاهات الممكنة او غير الممكنة: "هناك دوما من الناس من لا يستطيع الصمود، فيعودون الى البر، لأن حياة الجزر لا توائمهم. " او "فجأة يحصل احد ما على تصريح السفر الى الخارج" او "بالطبع، تبلغ المسافة فعلا خمسين كيلومترا. من الصعب تخيل ذلك، ولكن السباحين الجيدين قادرون على قطعها".

وفي نهاية كل الخطب ظلت صورة تلك القطعة الكنزة "هيدنزي" ساطعة كأرض الأساطير، وكأنها الملاذ الوحيد، جزيرة تطفو بعيدا فأبعد، حتى كادت تندثر عن الرؤية - كان على المرء ان يسرع إذا اراد الا تفوته الفرصة.

عاد (أد) الى الفندق بعد تناول الطعام. من الواضح ان احد ما عبث بحاجاته - وان لم ينتقص منها شيئا. اقترب من النافذة حيث وقف ينظر الى المحطة. اخذ في الفراش ينادي اسم "ماتيو" - انها انتكاسة. ولكنه نادى بصوت خافت للغاية، لغرض ان يسمع صوته قبل ان يذهب الى النوم. كلا، لم يكن قد قفز.

## الجزيرة

غالبا كان الرد بالنفي يأتي في لحظتها، فيصيح احد ما مارًا امامه : " المكان مشغول عن آخره!"؛ ثم ترتفع بعد ذلك بعض الرؤوس حين يتشكر أد في صوت خافت قبل ان يبتعد سريعا، محكما قبضته حول الحمالة المتعركة لحقيبته المصنعة من الجلد الصناعي.

نزل من المركب في الشمال، و سار على قدميه في اتجاه الجنوب، حوالي ستة كيلومترات، قطعها بعد ذلك مرة اخرى سيرا في الاتجاه المعاكس. كانت الجزيرة في بعض اجزائها ضيقة بقدر اتاح رؤية المياه على جانبيها، الماء الفضي على يسارها، و على اليمين "بودن": سطح زجاجي داكن الزرقة، كاد يكون أسود. بدت السحب التي ظل (أد) للحظة يتتبع اشكالها الممطوطة الغربية وكأنها تسبح على ارتفاع اقل من المعتاد؛ وكلما اتسع الافق تضاءلت المسافة الى السماء، أخذ بُعدًا يؤثر سلبا على البعد الآخر. وفي نهاية اليوم حين بدأ يفقد الامل كان قد فقد معه أيضا شعوره بالحرَج عند السؤال: "هل لديكم عمل لي؟ وإن كنت في حاجة ايضا الى مأوى".

في مضيفة تحمل اسم "الطرف الشمالي" عرض عليه اجر 1,40 مارگًا في الساعة للقيام بشتى الاعمال، كما قيل له، "ولكن دون مأوى". وجدت على مسافة بعض كراسي الشاطيء لتي تم استبعادها، من الطراز المغطى بمظلة من القماش. أعجب (أد) لون المظلات الكالح الزرقة، انه لون الراحة والكسل، شهر يوليو، تسطع الشمس في وجهه. بينما تبادل معه صاحب المضيفة ذو المزاج العسر بعض الكلمات - كانت تلك اول محادثة لأد على الجزيرة- مر امامهما مسرعين عاملان موظفان لديه، كانا مطاطين رأساهما و كأنهما يخشيان فقدان عملهما. للحظة ظل (أد) متسمرًا بين براميل القمامة وصناديق المشروبات. كان دون ان يعي قد اتخذ هيئة الشحاذ المهينة للنفس.

حين تحرك لبيبتد سمع احد الموظفين يصيح بشيء ما في اتجاهه من خلال باب المخزن الذي كاد يكون مغلقاً، فلم يتبين (أد) هيئة المتحدث. لم يتبين سوى كلمة "كلاوزنر" ثم "كروزو، كروزو- -" و كأنها رسالة مشفرة. كان الرجل في اغلب الظن يستهزئ به من خلال القصة المعروفة لغرق السفينة. بدأ الظلام يحل وظهر نور المصابيح بداخل المنازل. سار (أد) منحنياً بعض الشيء بسبب وزن متاعه الثقيل. كانت الحمالة المصنعة من الجلد الصناعي قد تشققت، كما كانت كنزة بدرجة جعلتها تحذ قاسية في كتفه. جال بخاطره انه قد فاته وضع الحقيبة، او بالأحرى اخفائها بين افرع إحدى شجيرات نبق البحر التي مر بها على جانب الطريق. لقد صاغ السؤال عن العمل بالتأكيد صياغة خاطئة، بل إنها كانت أيضاً صياغة غيبية، و كأنه لا ينتمي الى المجتمع ذاته. هنا كان العمل المتاح، ولا يستوجب الشحاذة عند الأبواب بهذا الاسلوب وبحقيبة متهالكة على كتفه. يعد العمل في حد ذاته بمثابة بطاقة مرور، يجب اظهارها. اما عدم حيازة عمل فكان ينافي القانون ويستوجب العقاب. أيقن أن اسلوب صياغة السؤال من طرفه هو سبب عدم تلبينه، وأنه كان مستفزاً. فأخذ اثناء سيره محملاً بحقيبته المثقلة يعيد الصياغة: "هل انتم في حاجة الى بعض المساعدة الإضافية خلال هذا الموسم؟".

ان اختيار الكلمات المناسبة حتما امر مصيري.

حين شق طريقه خلال قرية "كلوستر" \* الواقعة في اقصى شمال الجزيرة قابله بعض المصطافين. فسألهم اذا كان لديهم مأوى له. ضحكوا، و كأنه القى عليهم نكتة رائعة، وتمنوا له "كل الحظ في الدنيا". ثم مر بصف من البيوت الخشبية الجميلة. أخذ رجل ينهره من موقعه في شرفته محركاً زجاجة البيرة التي امسك بها في يده بعنف. من الواضح انه كان ثمل بدرجة تمكنه من التعرف فوراً على اي نازح ضال.

"هل تحتاج لمساعدة إضافية في مطبخك؟ لدي حالياً بعض من الوقت يمكن توفيره لذلك."

كان يعرف من احاديث النادل في "قاعات اوفنباخ" ان النوم على الشاطئ يشكل مخاطرة. (أخذ يبحث بنظره في كل مكان عن ذقن ماركس). اذ قال له ان حرس الحدود سيجدوه وسيلقون بضوء مصابيحهم الكشافة على وجهه اثناء حلمه وسيستجوبونه حول خطة هروبه. اذ كان التواجد في المنطقة الحدودية دون حيازة بطاقة مرور او مكان اقامة امر ممنوع. وإن لم يهتم المفتشون على العبارة بالسؤال عن تلك الامور. اذ عادة ما يعد ركاب العبارة الباكرة من سياح اليوم الواحد. و ان كان على المرء عند تعرضه للسؤال ان يذكر شيئاً ما يبرر زيارته، اسماً ما او عنواناً ما. ادعى رائد ادب الطبيعية "جرهارت هاوبتمان" في عصره ان كل من على الجزيرة يدعون "شلوك" او "ياو"، نظراً لعدم وجود عائلات اخرى سوى عائلتي "شلوك" و "ياو". لم يشعر (أد) بالراحة تجاه وقع هذه الاسماء على اذنيه، كان يشك في امرها و ظن أنها من نسج خيال المؤلف. كانت هذه الاسماء جائزة في الأدب و لكنها ليست ممكنة في الواقع. كان قد القى بنظرة داخل فهرس ارقام التليفونات في ميناء "شترالزوند" واختار اسم "فايدنر" و كتبه على قطعة من الورق في حوزته: "عائلة فايدنر، كلوستر رقم 42".

"هل انتم بحاجة الى مساعدة إضافية في المطعم؟"

جملة و كأنها من الخشب.

في اغلب الظن كان يبدو على هيئته أنه لا يبحث في الواقع إلا عن مأوى يخفيه، انه فاشل، ان التيار قد جاء به، انه حطام، حطام في الرابعة والعشرين من العمر. لا يمكن أن يتخذ على الشاطئ او في بقايا المخبأ

الساحلي مكانا للنوم. مخاوفه طفولية: قد يخطو احد ما بقدمه على رأسه اثناء نومه، دون عمد. او قد يرتفع منسوب الماء فيغرقه. وقد يحوى المخبأ جردان.

مع حلول الظلام وصل أد الى اقصى شمال الجزيرة، بعد ان ترجل مرتين خلال كل قرية من قراها الثلاث: "نويندورف"، "فيتنه" و"كلوستر". قرأ على لوحة وجدها في الميناء (من العجب أن ينتهي به الامر حيث هبط في الصباح، وإن بدى له في هذه اللحظة أن ذلك كان منذ اعوام مضت) اسم المنطقة التي تقع خلفها: "خطاف بسين"، محمية طبيعية للطيور.

كان أد قد ايقن عند هذه النقطة ان مبيت ليلة في العراء مقدر له ضمن ايام حياته، وشعر أن ذلك يمثل بداية صحيحة على الرغم من كل مخاوفه. راي عند مخرج المكان لوحة ارشادية استطاع ان يقرأ ما كتب عليها بالرغم مما خلفته عوامل التعرية الجوية عليها من آثار: "معهد شترالن".

ظهرت على بُعد مسافة من خلف اشجار الحور فوق مرتفع معالم مبنى كبير. مرّ (أد) بمخزن غلال و باسوار مدهونة بدهان زيتي. اخذت عيدان الغاب على حافة الطريق تصدر حفيفاً، وفاق طولها أد فحجبت عنه رؤية الماء؛ حامت في الاجواء صيحات المساء النابعة من اوز ما. آخر منزل، سطحه من القش، مكسي بالطحالب. تذكر (أد) عند رؤية الحديقة المزروعة بالخضروات حديقة الخضروات الخاصة بجده: البطاطس، الكرنب السلقي وزهور النجمة. انتهى الطريق المكسي بإهمال في مرج مستنقع.

شابه الموقع المرتفع\*<sup>1</sup> الاول الذي رآه (أد) كابينة، او مسكن في احضان شجرة، إنه مكان ممتاز للاختفاء، و لكنه كان موصداً. اما الثاني الاصغر حجماً فكان مفتوحاً، ولكنه اخذ يتأرجح بدرجة جعلت أد يتساءل عما اذا كان مازال صالحاً للاستخدام. تمكن بصعوبة من رفع حقيبته الى اعلى. حاول بقدر المستطاع ان يتقدم في صمت، دون ان تصدر عن حركته اصوات. التقط بعض الخشب ليسد به مدخل البرج عند نهاية السلم الخشبي. عند وصوله الى القمة ممسكا ببعض الافرع الجافة راي ضوءاً يمسحه. رمى أد بنفسه على الارض و كأن شيء ما اصابه، فارتطم جبينه بمقعد خلوي، وظل راقداً دون حراك. تنفس بصعوبة و تسللت رائحة الخشب الى داخله بينما شعر بألم يحرق جبينه. لم تسمح مساحة الموقع الضيقة له ان يفرد قدميه. طرأت بذهنه " حمى كلوندايك"، الرجل في الصحراء الجليدية، الذي نجح في آخر لحظة في ان يشعل ناراً بواسطة آخر عود كبريت بحوزته، و لكن.... بعد وهلة عاد شعاع الضوء من جديد.

نهض (أد) ببطء و حيا الفئار كصديق قديم، لم يفصل عنه سوى عابراً.

"العلك في حاجة الى من يمد اليك يد مساعدة؟"

تنحى الضوء من حيث جاء ليضيق حيزه، وكأنه مروحة يد تتغلق – كان ذلك في غالب الظن هو الرد بالنفي. بدا له غريباً للغاية، ان اصبع الضوء البراق يتقدم لمسافات ثم يتوقف في اللحظة اللاحقة، و كأنه اصطدم بشيء ما اهم من استمراره في حركته الدائرية.

"اقصد مجرد مساعدة عابرة اثناء فترة الموسم؟" هكذا همهم أد.

[1] بناء من الواح الخشب يصلح كبرج مراقبة للقناصة، او ككوخ تأوى اليه الطيور في المحميات الطبيعية

صرف النظر عن خطة العودة لتناول الطعام في احدى الحانات. كما أنه لم يذهب الى الشاطيء. وإن كان مجرد وجوده هنا على الجزيرة في حد ذاته ... وقف لوهلة ينصت في ظلام الادغال من حوله، ارتدى بعدها البلوفر وسترته. اما باقي حاجياته ففردها بقدر المتاح على الارضية الخشبية للموقع.... كانت الليلة باردة.

### عند "كلاوزنر"

13 يونيو. كان موقع أد مازال غاطسا في الظلام عندما ارتفع ضجيج يصم الأذان. استيقظت الطيور في المحمية الطبيعية وطالبت يوما جديدا من خلال ضوضاء محملة بعدم الرضا و شكاوى متكررة لا تنقطع. غادر (أد) مأواه قبل شروق الشمس متجها بخطى ثقيلة نحو مركز الجزيرة، كانت هجمات الحشرات قد تركت آثار واضحة على وجهه، كما شعر بحرقة على جبينه. عليه قبل اي شيء ان يستكشف المكان ليجد مخابأ افضل او على الاقل مكانا يستطيع ان يودع فيه اثناء النهار حقيبته وحاجياته – سترة "تيلمان" الثقيلة والبلوفر. لم يعرف أد شيئا عن الجزيرة سوى ما تناقلته الاساطير و الحكاوي، لم يعرف شيئا عن جغرافيا المكان او عن دوريات الحراسة والتفتيش التي تقوم بها كتيبة الحدود. يبدو المكان في الوهلة الاولى واضح المعالم: مساحات من العشب ومروج ، وطريق واحد من مربعات خرسانية، هذه بالتأكيد ليست بيئة توفر المخابيء، على عكس الغابة و الهضاب في شمال الجزيرة .

تسلل أد في الليلة التالية الى داخل احدى الخلجان الساحلية الطبيعية العالية التي شقت سنونها في الطبيعة. شابه الجحر مزق نضر عريض: انفتح امامه المنحدر القاسي. لا توجد هنا حشرات، وإن تقاطر من الطمي الماء على عنقه. كان البحر اسود وكاد يكون صامتا، فيما عدا صوت كان يتكرر بانتظام، غليان بين حصي الشاطيء – وكأن احد ما يصب الماء فوق سطح معدني مشتعل الحرارة. كانت هناك عدة اصوات بداخل الجحر لم يستطع (أد) ان يصنفها. شيئا ما خر وش فوقه، كما جاء حفيف من داخل الطمي. و احيانا تنفس او تنهد شيء ما خافتا. جاء من مخزون المحفوظات طنين يحمل بعض الابيات محتواها ان بحر الشرق الصغير يحاكي همس الاموات. شعر أد تجاه الهمس بضيق. عليه أن يقاومه، إذا كانت نيته جادة في الرحيل، وفي بداية جديدة، ولذلك حاول مرة اخرى ان يغلب افكاره.

اغلق عينيه ورأى بعد وهلة رجل الأمواج الساكن في بحر الشرق. كان ضخما ومنحنيا، كان المشرف على مبنى المعهد. اخذ يعبئ الماء من البحر و يسكبه على نار اشعلها على الشاطيء. تبخر الماء وصعد الدخان، واخذ الرجل يتضاءل ويزداد شفافية في أن واحد. لم يبق منه في النهاية سوى وجهه. ابتسم من مكانه في الرمال في اتجاه أد، فكشف عن فك اسنانه المتعفن، عن كتلة من كسر القواقع، من الشحم والاعشاب المائية، وتحدث قائلا: "وجودي لم يعد ساري المفعول".



في الصباح وجد (أد) اشيائه مبللة، كانت دلتا رقيقة قد تكونت على الشاطيء. حوّل الماء النابع من الارض الطمي الى كتل لامعة، يستطيع المرء السير عليها. حاول في البداية ان ينهل من الماء ساجدا على ركبتيه (كحيوان رافع مؤخرته و مقدما رأسه)، ثم انبطح ممدودا على الارض، ليروي ظمأه. على الرغم من عدم احتمال وجود انسان في هذا التوقيت بعد شروق الشمس مباشرة على الشاطيء، شعر أد أنه مراقب.

ازاح باحدى يديه شعره الطويل خلف عنقه، و بالاخرى الحجر الذي اندس بين ضلوعه. "الطبيعة ليست قطعة حلوى" هكذا همهم (أد) محاكيا صوت ابيه وضاحكا بعفوية. لقد تغلب على الليلة الثانية. طعم الماء النابع من الارض اقرب الى الصابون ورائحته مخمرة. تتبع الدلتا الى الفتحة الواقعة مباشرة بجانب مرقد. حدق اليه حيوان. انه ثعلب. يحرس الينبوع و يراقب أد، منذ فترة على ما يبدو. همس أد قائلا: "كم افز عنتي يا ايها الوغد الصغير".

لم يتفوه الثعلب، لم تبدر عنه حركة. رقدت رأسه على قدميه الاماميتين، وكأنه كلب، بينما اتجه نظره الى البحر. بدى فراءه نضر و غاية في الحيوية. "لديك هنا مكان جميل، يا ايها العجوز، مكان خفي. لا بعوض فيه وبه ماء نضر... انت غاية في الذكاء، الست كذلك؟"

فرد اشيائه لتجف على الحجر، ولكنه شعر بالقلق، فجمعها من جديد. شعر بالجوع و بطعم عطن على لسانه. لقد تحولت قطع الخبز التي اشتراها من مخبر "كاستن" الى عجين. عجن بعض الكور في صحن يده، فضغط الى خارجها سائل لزج اشبه بالنطفة، مضغ ببطء وابتلع. لقد استهلكت طاقة الرحيل التي كانت بداخله. شعر بسحب حاد خلف عينيه. لم يكن الم بمعنى الكلمة، بل مجرد ذكرى، ذكرى اظافر مقروضة و اطراف الجلد الملتهية. اظافر(ج). تساءل كم من الوقت سيستطيع ان يستمر على هذه الحال. الى متى سيدوم ما تبقى من قواه؟ متى يجب عليه العودة؟ "لا طائل من كل هذا ايها العجوز."

كانت عوامل التعرية قد جارت على الساحل المرتفع النحيل- لم يرَ (أد) من قبل شيئا شبيه بذلك: قطع مهدومة وما بينها من متبقيات، الى جانب ما يشبه البيئة الجليدية. السنة عملاقة من الطين و الطمي تتلوى في طريقها الى البحر. مقاطع نبت عليها الزرع و اخرى جرداء، خلف فيها الجفاف آثار غائرة و طويلة، الى جانب جدران طينية رمادية تظهر منها على بعد مسافات جمجمة جبار احادي العين، لينظر من اعلى على (أد) في احتقار. أما (أد) فما كاد ينظر الى اعلى، اذ لم يشعر برغبة في النظر الى الجبابرة او ما كانت تمثله تلك الكتل الصخرية. خطا برأس مطأطأة بطول الشاطيء الصخري محاولا ان يبقى شعلة حديته الذاتي مشتعلة، تارة بعبارات تحفيز و اخرى بالحجج الجيدة؛ بكلمات نابغة من داخله.

وفجأة كشفت الشجيرات الساحلية على طريقه في اتجاه الشمال عن سلم. علقت الكتل الخرسانية التي حاول احد ما ان يثبت بها هيكل السلم المعدنى على الشاطيء على ارتفاع متر فوق الارض في الهواء.

انبعث صوت معدني رنان حين قفز (أد) على الدرج الاسفل للسلم. همس أد ثم توقف، كما تشرع الواح الصفيح في المراكب في الغناء اثناء غرقها: اخذ الحديد الصديء يترنح مهدداً بالانهيار. في النهاية عد (أد) ما يقرب من ثلاثمائة درج موزعة على مقاطع مختلفة حتى القمة، التي ارتفعت خمسين او ستين متراً فوق سطح الارض. تبين من بين شجرات الصنوبر مبنى فاتح مكسي جمالونه بالخشب. بدا في الوهلة الاولى كسفينة جانحة - كإحدى بواخر نهر الميسيسيبي - حاولت ان تصل الى البحر المفتوح من خلال الغاب. ووقفت حولها بعض الاكواخ الخشبية كأنها زوارق نجدة تحيط بالمركب الام.

ثبت (أد) نظره على الصورة كي لا تتبخر: إمتدت من المركب وحتى حافة المنحدر شرفة ممهدة عليها موائد وكراسي حدائق. كانت صفوف الموائد الواقعة على الحرف مظلمة وشابهت المعالف المخصصة لحيوانات الغاب. ظهرت كلمات ما على السبورة بجانب المدخل مكتوبة بخط مفعم بالحيوية، ولكن (أد) كان مازال على بعد مسافة لا تمكنه من تبينها. علق على يسار المدخل فوق شباك في رواق امامي يمثل جزء من كابينة مدير الدفة راية صغيرة يابسة كتب عليها: آيس كريم. على يمينها وعلى مستوى منتصف واجهة الرواق ثبتت لوحة مصنوعة يدويا كتب عليها: عند "كلوزنر"<sup>2</sup>\*

كان الحرف الاول مزخرف بجهد وعناية واضحين و للحظة رأى(أد) الخطاط امام عينيه، عند تكليفه بالعمل وتدوينه لاسم المركب وميعاد تدشينه. شعر أد بالجهد الذي تكلفه الخطاط من اجل اخراج هذا الحرف الاول، فاجتاحه لحظياً شعور دفين بعدم الجدوى. اخذ(أد) يسير ببطء حول المبنى للتأكد من وجوده في الواقع الثلاثي الابعاد. انه مركب على طراز "فالداهوس"<sup>3</sup>، كان لون الجمالون قد اكتسب خضرة الطحالب، بينما نبتت من القواعد قشور الملح. كان هناك مبنى ثاني احدث خلف الاول وبينهما فناء وقعت خلفه الغابة. وبذلك تكون المجمع من ثلاث دوائر ذات مركز مشترك، يقع في قلبه الفناء بالمبنيين الرئيسيين و شرفة صغيرة كُديت فيها كراسي مقهى من الحديد المشغول، تخللت بياضها بقع الصدأ. اما الدائرة الثانية فوقعت عليها الاكواخ المبنية من جذوع الشجر وكشكين خشبيين وساحة لتقطيع الخشب بها فأس. انتهى الفناء في الشمال في فسحة مغمورة بالضوء، مرج مرتفع يقود الى حافة الغابة ومدق لابد انه يقود الى الفناء - صديقه. وفي منتصف هذه الفسحة تم تشييد ساحة للعب الاطفال ، بها هيكل تسلق، ارجوحة، حفرة من الرمال ومسطح خرساني للعب البينج بونج. تعجب (أد) للحظة من وجود هذه الساحة المألوفة في كل ربوع البلاد في هذا الموقع الاسطوري الواقع اعلى نقطة تلاطم الامواج على الشاطيء. اما الدائرة الثالثة الخارجية فشكلها سور حاجز من الاغصان الميتة، تضافرت بعناية لتملأ الفراغات بين جزوع الاشجار الامامية للغابة. احاطت بالساحة أشجار الصنوبر والزنان.

تبخر (أد) في اتجاه الشاطيء والقى بنظره على البحر المفتوح. تسلل الى رطوبة الصباح تيار لطيف سكري، خليط يخلب العقل من اريج الغاب وعبق البحر. خيم الضباب، أفق محمي المعالم، يمكن استنشاقه اذا أخذ المرأ نفساً عميقاً. ها هو المرء هنا وهناك في آن واحد، هكذا فكر أد.

اسم معناه الناسك<sup>2</sup>  
اي: بيت الغابة<sup>3</sup>

رقد رجل ساكنا على المرتفع اعلى ساحة لعب الاطفال، مبيئاً او نائماً. حين اقترب (أد) منه سمعه يغمغم تجاه السماء. ربما هو دعاء، هكذا جال بخاطر (أد)، ولكن الصوت كان اقرب لحفيف الثعابين، تبين أد بعد فترة محتواه: "امشي، امشي، ...شي، ...شي... "

لم يتعد الوقت الساعة السادسة صباحاً. جلس (أد) في احد المعالف وقرر الانتظار. شعر برعشة البرد وبالجوع، لم يتمكن بالكاد من النوم في الليل السابقة.